مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 250-274

الحتمية(الضرورة) الروحية في التواصل الإنساني

Spiritual determinism in human communication

عبد القادر قدوري*

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

البريد الالكتروني المهني: a.kaddouri@lagh-univ.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/09/19	2024/03/17	2024/06/01

الملخص: يتناول المقال العلمي مساهمة جديدة في الفكر الاتصالي، حيث يسعى إلى فهم أعمق لعملية التواصل الإنساني وتأثير الحتمية الروحية عليها، مما يتطلب دراسة مفصلة لها. كما يهدف المقال إلى تحديد المفاهيم المتعلقة بالحتمية والروح والاتصال، ومناقشة وجهات النظر المتعلقة بالحتمية التكنولوجية والقيمية، المستوحتان من آراء "مارشال ماكلوهان" و"عبد الرحمن عزي" على، وتحليل دور التنشئة الروحية في تشكيل عملية التواصل وجودتها.أما أهمية البحث، فتكمن في إثراء المعرفة بفهم أعمق لعملية التواصل الإنساني وتأثير البعدالروحي عليها، مما قد يسهم في تطوير العلاقات البينية وتعزيز جودة التواصل الإنساني. يعتبر هذا المقال العلمي مساهمةمن أجل الفهم العلمي للاتصال الإنساني ويفتح آفاقًا جديدة للبحث والتطوير في هذا المجال الهام.

الكلمات المفتاحية: *الحتمية ؛الروح ؛ التواصل الإنساني ؛ الحتمية الروحية .*

Abstract: The scientific article deals with a new contribution to communicative thought, as it seeks a deeper understanding of the process of human communication and the impact of spiritual determinism on it, which requires a detailed study of it. The article aims to identify concepts related to determinism, spirit and communication, discuss perspectives on technological and value determinism, inspired by the views of Marshall McLuhan and Abdurrahman Azi , and analyze the role of spiritual formation in shaping and quality of communication. As for the importance of research, it lies in enriching knowledge with a deeper understanding of the process of human communication and the impact of the spiritual dimension on it, which may contribute to the development of inter-relations and enhance the quality of human communication. This scientific article is a contribution to the scientific understanding of human communication and opens new horizons for research and development in this important field.

Keywords: *Determinism, spirit, communication, spiritual determinism*

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

يُعتبر الاتصال أحد أهم العوامل التي تؤثر في حياتنا اليومية، ويمثل عملية تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر والمعاني والرموز، بين الأفراد والجماعات والدول. ولقد تطورت نظريات الاتصال على مرِّ الزمن، وكانت في كل مرة تُأسس مقاربةلفهم عملية التواصل الإنساني وتحسينه، فضلا على درس الحتمية في الفكر الاتصاليلكل من مارشال ماكلهونوعبد الرحمان عزي. لنكشف عن حتمية أخرى، وضعت البعد الروحي للإنسان تحت دائرة الضوء، إنها الحتمية (الضرورة) الروحية، فما المقصود بالحتمية الروحية؟ وما هو الشيء الجديد الذي يمكن أن تساهم به في الفكر الإتصالي.؟

1. في ذاكرة المفاهيم:

1.1 الحتمية determinism :

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن مفردة الحتمية لها عدّة معاني موضحة كمايلي: " حتمية(مفرد) :1 اسم مؤنث منسوب إلى حتم' ضرورة/ نتيجة حتمية ' 2 مصدر صناعي من حتم: وجوب ما لا مفرّ منه ... * حتمية تاريخية : نظرة ترى التاريخ خاضعا لقوانين صارمة طبيعية أو غيبية.3 (سف)مبدأ يقول إن كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة وأفعال الإنسان مقيدة بشروط توجب حدوثها اضطرارا، عكسها اللاحتمية التي تؤكد الحرية الإنسانية "(أحمد، 2008، صفحة 442)

أما في المعجم الفرنسي، نجد أن مصطلح الحتمية هو:

Déterminisme
Nom masculin
(Allemand Determinsmus)
1. Théorie philosophique selon laquelle les phénomènes naturels et les faits humains sont causés par leurs antécédents.
Contraires :
Indéterminisme - liberté
2. Enchaînement de cause à effet entre deux ou plusieurs phénomènes (larousse, 2022)

وبترجمة هذا الكلام الفرنسي إلى العربي، نجد معنى الحتمية بالشكل الآتي:
نظرية فلسفية التي بموجبها تتسبب الظواهر الطبيعية والحقائق البشرية في أسلافها، وضد الحتمية اللاحتمية –الحرية. سلسلة السبب والنتيجة بين ظاهرتين أو أكثر.
أما في الاصطلاح: فلقد ذكر أندريه لالاند في موسوعته أن مفردة déterminisme (حدّية، حتمية، جبرية) لها أربعة معاني هي:
"أ- بالمعنى الحسي: جملة الشروط الضرورية لتحديد ظاهرة معيّنة «الطبيب الاختباري سيمارس على التوالي تأثيره في الأمراض منذ أن يعرف اختبار حدّيتها الدقيقة أي السبب القريب»، ب-بالمعنى المجرد: سمة نظام وقائع أو أشياء يكون كل عنصر فيها متعلق ببعض العناصر الأخرى، بحيث يمكن أن نتوقع أن نُحدث أو أن نمنع الحدوث، بكل تأكيد، وفقا لمعرفتنا لإحداثنا أو لمنعنا حدوث هذه العناصر. «النقد الاختباري يشك في كل شيء، باستثناء الحتمية العلمية». ج- مذهب فلسفي يرى أن كل أحداث الكون ولا سيما الأفعال البشرية، مرتبطة ترابطا تكون فيه الأشياء ما تكونه في لحظة معينة من الزمن، بحيث لا يكون لكل لحظة من اللحظات السابقة أو اللاحقة، سوى حالة واحدة ووحيدة متوافقة مع الأولى. د- بمعنى غير صحيح، الحتمية هي الجبرية: مذهب يرى أن بعض الحوادث محددّة مسبقا من جانب قوة خارجية ومتعالية على الإرادة، بحيث أنها ستحدث حتما، مهما نفعل بهذا المعنى، يقال أحيانا «حتمية تاريخية» وعندئذ توضع في مقابل «الحتمية الداخلية» حيث تتشكل الإرادة من ترابط الأسباب و المسببات" (لالاند، 2001، الصفحات 267-268)، إذن : سواء بالمعنى الحسي أو المجرّد أو الفلسفي فالحتمية هي القول بأن حوادث الكون والطبيعة وجميع حوادث العالم وكل أفعال الإنسان هي ضمن شروط توجب حدوثها اضطرارا، وكل ظاهرة أو فعل إنساني مرتبط بالذي يليه وطيد الصلة بالذي قبله. وعلى هذا الأساس يتم وضع النظريات والقوانين العلمية التي تفسر حوادث العالم وأفعال الإنسان تتابعيا، والتي بفضلهما (النظرية والقانون) يتقدم العلم. أو

بأسلوب آخر أن كل حدث من حوادث العالم، بما فيها أفعال الإنسان هي نتيجة منطقية يستغلق تجنبها لحوادث سابقة وهذا ما ذهب إليه " السيّد نفادي" بأن " أفعال الإرادة والأحداث الطبيعية والظاهرة الاجتماعية، والنفسية تكون محددة بطريقة سببية عن طريق أحداث أخرى أو قوانين الطبيعة" (السيّد، 1983، صفحة 9). إذن يُقصد بالحتمية اتخاذ مكوّن (متغير) والمطاوع الرئيس في فهم الظواهر، والمتغير الأساس في دراستنا هو الروح (Soul –spirit) المنفوخة في الإنسان أثناء تكوّنه، وهو في المرحلة الجنينية.

2.1 الروح spirit :

ورد في معجم الوسيط:"(الروح) ما به حياة النفس (يذكر ويؤنث) و- النفس (ج أرواح) والقرآن، والوحي". (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2011، صفحة 380)

وورد أيضا في لسان العرب "قال الزجاج: جاء في التفسير أن الروح الوحي أو أمر النبوة، ويسمى القرآن روحا، ابن الأعرابي: الروح الفرح والروح: القرآن والروح الأمر والروح النفس.. والروح هنا جبريل: والروح عيسى". (ابن منظور، 2005، الصفحات 242-243)

فبالرغم من أن هناك من يرى أن النفس والروح شيء واحد، إلا أن النفس self خلاف الروح spiritعلى الأقل في عملنا البحثي هذا، بحيث يعتبر هذا العمل البحثي أن النفس لها علاقة بالحياة البيولوجية الصّرفة للإنسان، فإذا خرجت النفس من جسد الإنسان بالموت أو "القتل"، يَفسُدُ ويَضمحل هذا الجسد، ويتحلل إلى عناصره الأولية، فالنفس مقيّدة بالجسد والمكّون المؤقت له. ولهذا أَمْرُ موت الإنسان، حسب "القرآن الكريم" مرتبط بتوفيتها {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. سورة الزمر الاية42. والآيات النصية القرآنية كثيرة في هذا الصدد، فمثلا وليس حصرا:} كُلُّنَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ} سورة آل عمران الآية185.ولم تأتي ولا آية واحدة، تنص على موت

الروح وفنائها، فالقرآن الكريم يفصل ويفرّق ويضع بونا،بين مفهومي الروح والنفس. وفي العديد من الأحيان قبل ذلك، استخدم " المعلّمون الأفلاطونيون تعبير الروح الواعية (العقلانية) والروح العاطفية (أو اللاعقلانية) للتمييز بين الروح المحكومة بالوعي والطبيعة الإلهية والنفس المحكومة بالعاطفة والطبيعة الحيوانية" (سالوستيوس، 2023)، لهذا الروح يمتاز بالخلود، والنفس بالموت والفناء.

وبطريقة أخرى، إن الروح له علاقة بالحياة الإيمانية والاعتقادية وعالم الأفكار، وبناء العلاقات الإنسانية، وبطريقة أفصح، الروح سبب وعلّة تواصل وتعاطي الإنسان مع أخيه الإنسان، بحيث نعتبرها ما يشبه" شريحة نورانية"puce luminosité" ذات قوة وطاقة عميقة من الله (الخالق) مبثوثة في جميع أنحاء جسم الإنسان لتمدّه بالحركة والفاعليّة، حتى تكون عملية تواصل الإنسان مع أخيه الإنسان أمر وارد جدا جدا، أو أمر حتميٌّ" (قدوري، 2017، الصفحات 30-31). لهذا كان البشر - قبل خلق آدم، وجعله خليفة في الأرض من لدن الله تعالى- سِمَتُهم الفساد والقتل، فردت الملائكة على الله تعالى لما قال سبحانه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ} جزء من الآية 30 من سورة البقرة.. بالقول الحكيم: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الآية 30 من سورة البقرة. إن الروح هو ذلك الشريحة النورانية "المنفوخ" في جسم الإنسان والذي مكّنه من حمل بعدا إلاهيّا، والذي يصرف الإنسان إلى كل ما هو حميد، بل وجود الروح فيه كلطيفة ربانية يعطيه القدرة على التفكير والتخطيط والإدراك والتواصل مع أخيه الإنسان، من أجل تحقيق هدف إعمار الأرض، وإنشاء الحضارات، والذي ينتفي بالفساد والقتل، والتقاطع والهجران، ويتحقق بالإصلاح والإحياء والتواصل.

3.1 التواصل **communication :**

ذكر ابن فارس في مقاييسه، أن التواصل من" وصل.. الواو والصاد واللام أصل يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلا: والوصل ضد الهجران". (أحمد ابن فارس، 1979، صفحة 1044)

وذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته: "وصل.. الاتصال اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الدائرة ويضاد الانفصال، ويستعمل الوصل في الأعيان وفي المعاني. " (الراغب، 2009، صفحة 681)

وقال ابن منظور في لسانه "وصل: وصلت الشيء وصلا وصلة والوصل ضد الهجران. ابن سيده: الوصل خلاف الفصل" (منظور، 2005، صفحة 790)، وقال أيضا "الوصل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم.. يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة، ما بينه وبينهم من علاقة القرابة، والصِّهر" (منظور، 2005)، و"وصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصل إليه انتهى إليه وبلغه" (منظور، 2005، صفحة 789).

إذن التواصل لغويا هو: "ضد الهجران، وضد الانفصال وضد التصارم وخلاف الفصل، فهو الاتصال والصلة، الإبلاغ والاتحاد والانضمام." (قدوري، 2017، صفحة 46)

في الاصطلاح:

تعددت المفاهيم حول مفردة التواصل عند مختلف الباحثين والمفكرين والعلماء، فالكل يرى من زاوية اهتمامه العلمي، لكن انتقينا كلاما يعود لـــــ" كلود هنري سان سيمون" (1760-1825م) بحيث يقول "إن التواصل هو أحد أهم الأشياء الأساسية والرئيسية في الحياة وفي الكون، إنه حاجة بشرية أساسية، الله خلقنا وبداخلنا جوع للعلاقات، للعلاقة معه، ومع الناس الآخرين، فالعلاقات جزء لا يتجزأ منا، وبدون علاقات متينة ستغرف النفس البشرية في المشاكل السيكولوجية (النفسية والعاطفية) لا يستطيع الإنسان الاستمرار والنجاح دون أن يكون متصلا بالآخرين" (قدوري، 2017، صفحة

39)، وكأن عملية التواصل الإنساني هي المصير اللازم للإنسان، بل وجود مكوّن "الروح" في التركيبة الخَلقية للإنسان أصل التواصل بين الناس من الأساس.

2. النظريات الحتمية في الفكر الإتصالي:

الحتمية مفهوما مهما في العديد من المجالات، مثل العلوم والرياضيات والفلسفة والمنطق، ويمكن استخدامه لفهم الظواهر الطبيعية والإنسانية وتوقع تطورها، فهي تعتمد على متغير واحد ثابت (determining)مؤثّر، ورئيس، وأساس، من أجل فهم وتفسير الظاهرة محل البحث والدراسة، وفي مجال الفكر الإتصالي وظاهرة الإعلام نجد الحتمية التكنولوجية عند "مارشال ماكلوهان " والحتمية القِيَمِية عند "عزي عبد الرحمان".

1.2 الحتمية التكنولوجية:

اعتمد "مارشال ماكلوهان "على متغير واحد في تفسير التطور الاجتماعي، فكانت أبحاثه منصبة على إشكالية العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، فهو يرى أن كل حقبة زمنية تستمد شخصيتها وطبيعة تفكيرها من الوسيلة الإعلامية-الاتصالية، المتوفرة على أوسع نطاق. وهذا ما ميّز البشرية التي مرّت عبر مراحل زمنية كبرى على النحو التالي:

1.1.2 مرحلة اكتشاف الكتابة:

والتي كانت 3500 ق.م ،بحيث اعتبرت هذه الفترة ثورة الاتصال الأولى، " إذ أوجدت هذه الثورة المكتوبة وسمحت بالتدوين، وهو أحد شروط التطور"(قرناني، 2014، صفحة 66) والحركية الاجتماعية، بحيث ظهر ما يسمى بالاتصال المكتوب أو المسطور.

2.1.2 مرحلة اكتشاف الطباعة:

لقد شاع في الأوساط العلمية أن " يوهان غوتنبرغ " هو مخترع الطباعة الحديثة، فأحدثت هذه الآلة التكنولوجية ثورة وقفزة نوعية في حركية المعرفة والبحث العلمي،كما عملت على تجسير التواصل الإنساني والمثاقفة بين المجتمعات. ويعتبر "مارشال

ماكلوهان " أن هذه مرحلة الطباعة شجعت على ظهور الفردية والنزاعات القومية، والديمقراطية أيضا.

3.1.2 مرحلة اكتشاف الإذاعة والتليفزيون:

إن عملية اكتشاف الإذاعة هي في الحقيقة نتيجة جهود متراكمة للمهتمين والباحثين، ابتداءً من الأسكتلندي " جيمس ماكسويل " إلى الإيطالي " غوليلمو ماركوني" الذي توصل إلى أول بث إذاعي عام 1896، ثم تطورت الإذاعة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، وهنا اعتبر " مارشال ماكلوهان " أن الإذاعة كانت بمثابة امتداد لحاسة السمع عند الإنسان، أما حاسة البصر امتدت هي الأخرى مع اكتشاف التليفزيون تقريبا في نفس الفترة الزمنية التي تم فيها اكتشاف الإذاعة.

وهكذا فرضت وسائل الإعلام والاتصال المكتشفة (القلم،الطابعة، الصحيفة، الراديو، التليفزيون) نمطا معينا من التفكير، وسيطرت أيضا على أفق وشكل روابط الإنسان وأفعاله، ولقد صاغ "مارشال ماكلوهان " جملة شهيرة تعبر عن ذلك: الوسيلة هي الرسالة the medium is the message، والذي يعنيه "مارشال ماكلهون " أن شكل الوسيلة الإعلامية مقحوم في الرسالة التي تحملها هذه الوسيلة نفسها. أي أن هناك علاقة وطيدة تضامنية بين الوسيلة والرسالة، والتي من خلالها يكون للوسيلة أثر فعّال وقوي في الكيفية التي يُنظر بها إلى الرسالة. فالوسيلة التكنولوجية لها آثار اجتماعية وثقافية، بمساهمتها في إعادة تخيّل الحياة الاجتماعية، ثم إعادة بناءها.

ففكرة الحتمية التكنولوجية تقوم على فرضية أن التكنولوجيا هي التي تحدد شكل الثقافة والمجتمع، وأنها تؤثر على الإنسان وتغيّر طبيعة العلاقات الاجتماعية والتفاعلات بين الناس. وبمعنى آخر، فإن المفهوم يشير إلى أن التكنولوجيا هي العامل الأساسي في تحديد الطريقة التي ينظر بها الناس إلى العالم ويتفاعلون معه.فلقد " أعلن ماكلوهان أن الوسائط الإلكترونية في القرن العشرين - الهاتف والراديو والأفلام والتلفزيون - كانت تكسر

طغيان النص على أفكارنا وحواسنا. أصبحت ذواتنا المعزولة والمجزأة، المحبوسة لقرون في القراءة الخاصة للصفحات المطبوعة، كاملة مرة أخرى، واندمجت في المعادل العالمي لقرية قبلية. كنا نقترب من المحاكاة التكنولوجية للوعي، عندما يتم توسيع العملية الإبداعية للمعرفة بشكل جماعي وجماعي لتشمل المجتمع البشري بأكمله"

"the technological simulation of consciousness, when the creative process of knowing will be collectively and corporately extended to the whole of human society." (Marshall , 2003, p. 5)

إذن وفقًا لماكلوهان، فإن الحتمية التكنولوجية تسبب تحولًا جذريًا في الحضارة، وأن الثورة الصناعية والتكنولوجية تمثل مرحلة تحول هائل في تاريخ الإنسانية، حيث تغيرت الطريقة التي يعيش بها الناس وتفاعلوا مع بعضهم البعض.

ويمكن رؤية هذا النوع من الحتمية التكنولوجية في عدة مجالات، مثل الاتصالات والإعلام والثقافة والترفيه والتعليم والعمل. على سبيل المثال، فإن وجود التلفزيون كجهاز للاتصال يؤثر على الطريقة التي يتفاعل بها الناس مع الأخبار والثقافة، ويغيّر الطريقة التي يتعلم بها الناس ويتفاعلون مع العالم.

4.1.2 مناقشة الحتمية التكنولوجية:

على الرغم من أن الحتمية التكنولوجية قد تنطوي على مكامن قوّة وصحّة، أثبتتها العلوم العصبية، حيث ترى "سوزان غرينفيلد" من خلال دراستها الموسومة بـــ: تغيّر العقل –كيف تترك التقنيات الرقمية بصمتها على أدمغتنا"

Mind change: How Digital Technologies Are Leaving Their Marks on Our Brains

حيث قالت :" إن التجربة المجردة للعيش والتفاعل في بيئة معينة تترك بصماتها على الدماغ، مما يؤدي بدوره إلى دوائر دماغية شخصانية وفريدة من نوعها والتي يمكن أن تؤدي في النهاية إلى مزيد من التغيرات المادية في الدماغ و الجسم" (غرينفيلد، 2017، صفحة 88)، كما أن " نيكولاس كار NICHOLAS CARR" قدّم توضيحا في كتابه الموسوم بـــ: السطحيون (ما تفعله شبكة الإنترنت بأدمغتنا) عن كيفية تغيير الإنترنت

والتكنولوجيا الحديثة طريقة تفكيرنا وعملنا، ويوضح كيف يؤثر ذلك على القدرة على التركيز والتفكير العميق والابتكار، ويتحدث عن كيفية تأثير هذا الأمر على الذاكرة والتعلم والإبداع وغيرها من العمليات العقلية الأساسية

وكون الدماغ هو المتحكم في جميع النشاطات الحسية والحركية للإنسان، فتغيره ماديا بفعل التكنولوجيا من شأنه صياغة مشهدا كيميائيا في الدماغ جديدا، إلا أن هناك مناقشة لهذا المفهوم، بحيث نسجّل هناك تجاهللعوامل الاجتماعية والثقافية والدينية، التي يمكن أن تؤثر على طريقة تفاعل الناس مع التكنولوجيا، وكذلك قدرتهم على اتخاذ القرارات الخاصة بهم، على سبيل المثال، فإن التكنولوجيا يمكن أن تؤثر على طريقة تفاعل الناس مع العمل، ولكن لا يمكن أن تحدد كليًا كيفية تعامل الناس مع بيئة العمل وما يفعلونه فيها. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تؤثر العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية، مثل القيم والمعتقدات والتقاليدوالنمط الحضاري والتاريخي، على كيفية استخدام التكنولوجيا وتفاعل الناس معها. وهذا ما جعل "عبد الرحمان عزي ينحو منحى مشاكس، الذي يتمثل في الحتمية القيمية.

2.2 الحتمية القِــيَمِيَة:

ترجع هذه النظرية لصاحبها عبد الرحمان عزي، حيث يعتبر أن القيمة هي الرسالة، بدل الوسيلة هي الرسالة التي نادى بها سابقه "مارشال ماكلوهان "، فالحتمية القِيَمِيَة في التواصل قائمة على ثلاثة مصطلحات هي:

1.2.2 الحتمية:

هي "اعتبار متغير واحد أنه هو المحرك الأساس في تفسير أو فهم أي ظاهرة ،والمتغير الرئيس أو الأساس هو القيمة value "(نصير، نصير بوعلي، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عبدالرحمان عزي:مقاربة نقدية (platform.almanhal.com)

2.2.2 القيمة:

القيمة عند "عبد الرحمان عزي" هي كل ما يرتبط بالمعاني الكامنة في الدّين، ويسعى الإنسان لتجسيد هذه المعاني من خلال سلوكه الاجتماعي التواصلي، فتأثير وسائل الإعلام يكون مرتبط محتوياتها بالقيمة ذات المرجعية التراثية والدينية، بحيث يقول صاحب النظرية " إن التأثير يكون إيجابيا إذا كانت محتويات وسائل الإعلام وثيقة الصلة بالقيمة، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا، وبالمقابل يكون سلبيا، إذا كانت محتويات وسائل الإعلام لا تتقيد بأيِّ قيمة، أو تتناقض مع القيمة ،وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكبر. "(عزي، 2013، صفحة 112)، فالتأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام حسب "عبدالرحمان عزي"، تتحقق بتعزيز القيم، بحيث يكون ما هو إعلامي داعم لما هو اجتماعي وثقافي وديني، بل ومتكامل معه، وكذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية التي من خلالها يكتسب الفرد قيم المجتمع وثقافته ودينه، وهنا تُعتبر وسائل الإعلام مؤسسات اجتماعية تقدم تنشئة معينة، فمثلا البرامج الدينية تقدم التنشئة الدينة وهكذا، كما تعمل وسائل الإعلام على تحقيق التوازن والتناسق ،وتعزيز الرابط الاجتماعي عن طريق الإحساس بالانتماء للمجتمع، الذي تحكمه معايير مشتركة من قيم، ولغة,ثقافة ودين، وتاريخ، ومدى جغرافي ،كما أن وسائل الإعلام تساهم في نشر المعرفة والثقافة والأدب والدين في أوساط ممتدة من المجتمع، كما تساهم أيضا في تحقيق الوعي والإدراك والترابط بالمجتمع الداخلي المحلي، بدون إهمال الاهتمام بالجغرافيا البعيدة، كما تعمل وسائل الإعلام على أن الفرد يعرف وعي ذاته ومجتمعه، ويميزه عن الآخر المختلف، حتى يستطيع النظر إلى ذاته ومجتمعه من زاوية خارجية، كما أن معاينة عوالم متعددة تحمل الإنسان عبر الزمان والمكان، حتى يحقق عملية الإشباع والتحويل والترفيه هذا كله من إيجابيات وسائل الإعلام ،و أخيرا تضمن هذه الوسائل، الإعلام والتفسير والتحليل.

أما التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام، رصدها أيضا صاحب هذه النظرية، حيث يعتبر "عبدالرحمان عزي" أن عملية تحييد القيم ،وإبعادها كعوامل مؤثرة وتغييبها من محتويات هذه الوسائل، وبخاصة الترفيهية منها، أدى إلى انتشار محتويات العنف والجنس والأفلام الإباحية، ثم استمالة الجمهور وإرضائه بغض النظر عن نوع المحتوى الاعلامي الذي يقصد الرغبات الغرائزية، كما تسهر هذه الوسائل على تضييق المجتمع بإبعاد أفراد المجتمع عن بعضهم البعض ،وهذا من شأنه يؤدي إلى الانعزال الاجتماعي وضعف الروابط الثقافية، كما أن وسائل الإعلام، تتجه عموما إلى الاهتمام بالأحداث العالمية الوافدة والتي قد تكون على حساب المجتمع المحلي، إنه فعل العولمة وكل ما يرتبط بها حتى بإيجاد مجتمع افتراضي، حيث يتفاعل أفراده دون ارتباطهم بثقافة أو مجتمع أو جغرافيا محددة .كما ساهمت هذه في إهزال نسيج الاتصال الاجتماعي. وإهزال دور قادة الرأي والفكر والثقافة، وأدت بالمتفاعلين بتقمص أدوار النجوم السينمائية والممثلين. ومشاركة تجربة الآخرين، حيث أن التأثير السلبي هنا مرتبط بصاحب القدوة المبتعد عن القيم، كما أن وسائل الاعلام تسعى دوما إلى خلط ما هو رمزي بما هو حقيقي واقعي، وتسعى أيضا إلى إهزال الحساسية تجاه المحظورات الثقافية، وتزيد في تعميق الهوة بين الأكثر معرفة والأقل معرفة.كما أدت أيضا إلى الاعتياد على الوسيلة الذي أدى إلى قلة التفاعل الاجتماعي، الذي بدوره يقود إلى ضعف الروابط الاجتماعية، كما أدت أيضا إلى حرمان الفرد من النقد الذاتي أو تغير ذاته، ثم إن وسائل الإعلام المسموعة المرئية،تلزم المستعمل التركيز على حاسة البصر على حساب الحواس الأخرى.

3.2.2 الإعلام:

ويقصد به جميع وسائل الاتصال بما فيها المكتوبة، المسموعة، والسمعية البصرية، والميديا الجديدة

فالحتمية القيمية تشير إلى العوامل القوية التي تتحكم في سلوك الأفراد، وهي قوى دافعة وجاذبة تتحكم في الإرادة والنشاط البشري. ويعتقد "عبد الرحمان عزي" أن هذه العوامل القوية هي التي تحدد القيم والأخلاق التي يتبناها الأفراد، وتتحكم في سلوكهم وتصرفاتهم.

ومن أمثلة العوامل القوية التي يتحدث عنها عبد الرحمن عزي، هي الإرث الثقافي والديني والفلسفي والأخلاقي الذي يمر به الأفراد، والتجارب الشخصية التي يعيشونها، والتحديات والصراعات التي يواجهونها في الحياة. ويعتقد عزي أن هذه العوامل القوية تحكم فيما يتبناه الأفراد من قيم ومعتقدات، وتحدّد سلوكهم ونشاطهم وإرادتهم.

ويعتبر عبد الرحمن عزي الحتمية القيمية مفهوماً مهماً في فهم الإنسان والمجتمع، وفي دراسة تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية والتربوية على سلوك الأفراد ونشاطهم. ويمكن استخدام هذا المفهوم في دراسة العديد من المواضيع، مثل الأخلاق والقيم والثقافة والتعليم والتنمية الاجتماعية والنفسية، إذن حسب "الحتمية القيمية "، أن هناك أولوية القيم والثقافة عن وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال.

4.2.2 مناقشة الحتمية القيمية:

إن "عبد الرحمان عزي" يقدم مفهوم الحتمية القيمية كوسيلة لفهم سلوك الأفراد، وتشكيل قيمهم ومعتقداتهم. ومن الناحية النظرية، يعد هذا المفهوم مهماً ومفيداً في فهم الإنسان والمجتمع، وفي دراسة تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية والتربوية على سلوك الأفراد ونشاطهم، ولكن رغم ذلك، يمكن النقد النظري لمفهوم الحتمية القيمية حيث أن هذا المفهوم يمكن أن يؤدي إلى الإغفال والتجاهل، للحرية الفردية والقدرة على التحكم في سلوك الإنسان وتشكيله للواقع.

3.2 الحتمية الروحية:

الحتمية الروحية هي فرضية جديدة تسعى لتحليل وفهم ظاهرة التواصل الإنساني بشقيه العمودي (مع الله الخالق) والأفقي (مع أخيه الإنسان)، بحيث تعتبر هذه الفرضية، أن "معطى الروح" هو الباعث الأساس في حدوث التواصل بين الناس، من حيث الأصل، سواء تواصل الإنسان مع أخيه الإنسان، أو تواصل الإنسان مع خالق الإنسان، حيث " أننا بفضل النفخة الإلهية، التي نُفخت فينا، نستطيع أن نتواصل مع الأكوان كلها، بأسرع من سرعة الضوء، فنستطيع أن نقفز من الفرش إلى العرش، بالوعي، والتفكير! فالكائن الوحيد الذي يُفكر خارج حدوده، وخارج حدود عالمه المرئي والقابل للرؤية، فقط هو الإنسان. ليس بقوة التقنيات والآلات، فهذه جاءت مُتأخرة جدا، بل بقوة الوعي والإدراك. وهذه هي الخاصية القفزية والطفروية – للوعي الإنساني؟ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي "(عدنان، 2023)

فوجود "معطى الروح" ضمن تركيبة الإنسان الخَلقية، جعل منه كائنا واعيا اتصاليا بامتياز وبالضرورة. حيث كان البشر قبل خلق آدم النبي – عليه السلام- كما ذكرنا، دأبهم الفساد والقتل، إنه التقاطع واللاتواصل، والهجران في أعظم صوره. فأيُّ بشر كان قبل آدم النبي؟

1.3.2 آدم الخَلْق والجَعْلُ المُستأنف:

يقول "القرآن العظيم" الآية النصية الكريمة رقم 30 من سورة البقرة: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ [البقرة:30]، فجلّ التفاسير تقريبا تخبرنا على أن هناك خلق آخر من الجن كان يفسد في الأرض ويُريق الدماء، وفضّلت الملائكة أن يبقي الله تعالى عليها وحدها، لأنها المسبّحة بحمده، والمقدسة له. لكن نحن نقترح في هذه الفرضية التالي: كان هناك خلق بشري بالتمام، مثل آدم النبيّ، والفرق

الحاصل بينهما، يكمن في "معطى الروح" الذي عبّر عنه الله تعالى بـــ: "... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ." بحيث "الروح" هو ضرورة لتعلّم وتكلم الإنسان، وتعاطيه مع الحياة الإيمانية والاعتقادية وعالم الأفكار، وبناء العلاقات الإنسانية. بحيث يقول الله تعالى في" القرآن العظيم" مباشرة بعد الآية 30 من سورة البقرة: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" وهنا سجدت الملائكة فورا "لآدم الجديد" من حيث التركيبة الخَلقية، والذي أصبح يتكون من بُعدٍ ثالث فريد هو "الروح" إضافة – بطبيعة الحال-إلى النفس والجسد، والتي لم تكن موجودة في "آدم القديم"، وهنا نسوق البرهانين التاليين:

البرهان الديني:

بقراءة تحليلية للآيتين 30و31 من سورة البقرة من القرآن العظيم، يتّضح أن الملائكة لها خبرة مع "الآدميين القدامى" وهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء (الهجران والتقاطع)، ولَمّا خاطبهم الله تعالى بخلق "آدم جديد "وجعله خليفة في الأرض، قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، فهنا الملائكة أصدرت حكما مُسبقا على" آدم الجديد" بتسبيب ما فعل" آدم القديم"، حيث رد الله تعالى على الملائكة إني أعلم ما تعلمون. إذن "البشر القديم" لم يكن له بعدا روحيا، عكس "آدم الجديد" الذي نفخ الله تعالى فيه من روحه، حتى أصبح يتعلّم ويتكلّم، بعد ما علّمه الله تعالى الأسماء كلها، وهذا ما أدهش الملائكة عندما أنبئهم "آدم الجديد" بأسمائهم وبأمرٍ من الله تعالى، حيث قالت، سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا.

إذن نفخة "الروح" هي التي جعلت الفارق قائم، بين "البشر القدامى"، "والبشر الجدد" حاصل وبائن. وبموجبها ستتحول البشرية من الإفساد وسفك الدماء والتقاطع، إلى

إمكانية التكلّم والتعلّم وبناء العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وبناء الحضارات، وعمارة الأرض وخلافة الله فيها.

ومن جهة أخرى نجد أن النبيّ "نوح" لبث 950 سنة رسولا في قومه، حيث يقول "القرآن العظيم" في الآية 14 من سورة العنكبوت:} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}، وكانت الفترة الزمنية بين آدم، ونوح، وابراهيم. تُقدر بعشرين قرن، وذلك حسب ما جاء في الحديث المنسوب لرسول الإسلام محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه وملائكته)، حيث روى الطبراني في معجمه: "أن رجلاً قال: يا رسول الله! أنبي كان آدم؟ قال: "نعم، مُعلّمٌ مُكلّمٌ ". قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة قرون". قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: " عشرة قرون ". قالوا: يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال: "ثلاث مئة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً.."(أبو القاسم والمجيد، 1994، صفحة 118)، بل وكانت هذه الفترة الزمنية نفسها بين أولى العزم من الرسل ككل (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) عليهم السلام، وفقا لما نُسب لرسول الإسلام محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه و ملائكته) حيث روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وبين آدم وبين نوح ألف سنة وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة، وبين موسى وعيسى ألف وخمسمائة سنة، وبين عيسى ونبينا ستمائة سنة(الحاكم، 1997، صفحة 703) ولا ضير أيضا عندما نذكر ما جاء في التراث المسيحي على لسان الأسقف "جيمس أشر Ussher " عندما وضع زمنا، وتاريخ الخلق الإنسان، وهو يوم 23 أكتوبر سنة 4004 قبل الميلاد. (عدنان، 2023)

وهكذا تكون المدة الزمنية في الثرات الإسلامي والمسيحي (على الأقل)، منذ خلق آدم النبيّ، إلى يوم الناس هذا، لا تتعدى عشرة ألاف سنة، وهو الإنسان العاقل، الذي يتكون من (جسد +نفس +روح).

البرهان العلمي:

نشرت مجلة nature في 14 يونيو 2017 أجزاء الجمجمة البالغ عمرها 300,000 سنة تحمل توضيحًا لأصل النوع البشري، وتربط المغرب بتغيرات تطورية معقدة حدثت عبر القارة الأفريقية، والصورة التالية توضح: إعادة بناء مركب من أقدم الحفريات المعروفة للإنسان العاقل Homo sapiens من جبل إرهود (المغرب). هذه الحفريات للإنسان العاقل القديم التي يرجع تاريخها إلى 300 ألف سنة مضت تحمل بالفعل وجهًا يشبه وجه الإنسان الحديث لمجموعة مختلفة من البشر الذين يعيشون اليوم).(هيدلستون، 2023).

مركب من أقدم الحفريات المعروفة للإنسان العاقل Homo sapiens

مصدر الصورة : Natureasia 2017.com

فالإنسان ينتمي إلى جنس هومو(Homo)، وهو "جنس من فصيلة الإنسان الحديث، لم يتبق من هذا الجنس سوى الإنسان الحالي المعروف علميا باسم الإنسان العاقل، أما باقي أنواع هذا الجنس فقد انقرضت، تعود أقدم بقايا هذا الجنس إلى ما قبل 2.5 مليون عام." (الخياط، 2012)، وكان يتميز هذا الجنس الإنساني، الذي أصبح يعرف بالإنسان العاقل " بقدرة استيعاب وفهم للروابط والعلاقات بين الأشياء والتأثيرات المميزة للحركات والتغيرات المختلفة وبناء أدوات معقدة واستخدام الأدوات لصنع أدوات ..كما

يتميز بالقدرة على الاتصال ولغة معقدة وميل طبيعي لتطوير لغة مشتركة مع بني جنسه وإن كانوا لا يشتركون في نفس اللغة"(الخياط، 2012).

إذن فالبشر الذي كان دأبه الفساد والقتل في الأرض حسب "الحتمية الروحية" هو "البشر القديم" الذي كان يعيش قبل آدم النبي، والذي ينتمي إلى جنس الهومو(Homo)، والذي لم يكن يتكوّن من عنصر الروح، بل كان يتكون من جسد ونفس وفقط، تماما كالحيوان، فأصبح الخَلقين متشابهين في المبنى(البنية المورفولوجية والهيكل العظمي) إلى أبعد الحدود حسب علم المستحاثات البشرية Human fossils، ومختلفين في المعنى (معطى الروح)، وهكذا بوجود الروح في الإنسان الجديد، حتى أصبح عاقلا، وأصبح بإمكانه خليفة الله، والإصلاح في الأرض، يَبني ويُشيّد، يَتعلّم ويَتكلّم،ويُقيم الروابط والعلاقات من أجل التكاثر مثلا، (بناء الأسرة والمجتمعات) وعناية الصغار(التنشئة)، وحماية النفس، والسعي نحو كسب القوت، والعمل والرفاهية... الخ

استنتاج:

يتضّح من العائد المعرفي الديني التراثي (الإسلامي والمسيحي على الأقل)، أن العمر الزمني لآدم النبيّ منذ خُلق إلى يوم الناس هذا، لا يتعدى عشرة آلاف (10.000) سنة، أما العائد المعرفي العلمي، يقرّر أن عمر البشر أكبر بكثير من ذلك، يصل إلى عشرات الآلاف من السنين بل تعدى إلى ملايين السنين. وفرضية الحتمية الروحية تقترح أن هناك "قفزة نوعية" في عملية خلق آدم النبي من لدن الله تعالى، وجعله خليفة في الأرض بنفخة "الروح"، والتي كانت غائبة في البشر قبل آدم النبيّ. إن هذا الخلق الاستئنافي للبشر، جاء ببعد روحاني للإنسان وحياة عاقلة، ابتداء من آدم النبي، إلى نهاية البشرية جمعاء وفناء الكل.

3. العناصر الأساسية للتواصل الإنساني، على ضوء الحتمية الروحية:

حسب مُقترح الحتمية الروحية أن عملية الاتصال الإنساني، تتكون من العناصر المعروفة من قبل، فقط هناك إشارة إلى عنصر "الروح" كعامل مشترك بين المرسل والمستقبل، وهذا الذي لم نقرأه من قبل في مكونات العلمية الاتصالية الإنسانية. ولا ضير أن نعيد ترتيب العناصر الأساسية للتواصل كما يلي:

1.3 المرسل: هو الشخص المؤسس لعملية الاتصال، من حيث الأصل أو من حيث الارتداد.

2.3 الرسالة:هي محتوى ومضمون عملية الاتصال على أيِّ نمط كانت، كلام، كتابة، صورة، إشارة، لون، رائحة، صوت، نظرة، صمت، حركة، سكون... الخ.

الوسيلة:هي الآلة (أو العضو) التي تحمل المحتوى أو المضمون، حيّة (الحواس)كانت أو جامدة (الوسائط التكنولوجية).

3.3 المتلقي: هو الشخص (أو مجموعة أشخاص) الذي يتلقى الرسالة.

4.3 العنصر النوراني المشترك: وهو أهم عنصر من عناصر العملية الاتصالية الإنسانية إنه " الروح "فهو مصدر إنشاء الرسالة ومنتهى معالجتها ومَكْمَنُ التغذية الراجعة فيها، فبالإضافة إلى المرسل والمستقبل والرسالة والوسيلة والتأثير والتأثر أو عدمه، هناك "شريحة" الروح، العنصر المشترك، والضروري في عملية التواصل الإنساني من الأساس. وهذا ما يميزه عن التواصل الحيواني والنباتي .فهذا الأخير محكوم للتواصل الفطري البيولوجي الطبيعي المتكرر على نفس النموذج. بينما عند الإنسان وفق الحتمية الروحية يمتاز بالإبداع والتطور المستمر، تحقيقا لتلبية الحاجات الإنسانية المتنامية والمستجدّة، تُخرج لنا هذه "الفرضية" أن معطى الروح عنصر آخر من عناصر الاتصال، والذي نسميه بالعنصر النوراني المشترك، وهو العنصر الأساس والرئيس في عملية التواصل الإنساني، فلولا الروح لما تمت عملية التواصل الإنساني من الأساس، بل الروح

هو أصل وجود وبناء العلاقات الإنسانية. وإذا بهت نور الروح أو خَفُتَ بسب إهمال النفس تربية وتزكية، يتعذر الاتصال ويحصل الانسداد فيه، ويحل محله الهجران والتنافر، والقتل والفساد، كما يشهد العالم في كل مرة وعصر الحروب الطاحنة.

5.3 نتيجة الاتصال: يتحقق التواصل بالتوافق الروحي بين المرسل والمتلقي، ويحصل الهجران والتقاطع إذا غاب هذا التوافق وانعدم، فتقارب درجة التوافق النوراني الروحي عند كلٍّ من المرسل والمستقبل، من شأنه أُن يضمن نجاح العملية، لدا تُعتبر التنشئة الروحية عملية دينية وتربوية مهمة لإعداد النشء للحياة الاجتماعية المشتركة، والعيش في سلام، القائم على التواصل الإيجابي والفعّال. فمثلا العلاقة بين الزوجين لا تستمر إلى النهاية، إلا إذا كانا متوافقين روحيا ونفسيا وذهنيا. وفق لفرضية الحتمية الروحية.

4. دور التنشئة الروحية في التواصلّ الإنساني، على ضوء فرضية الحتمية الروحية:

"جوهر التربية أن تكون دينية" مقولة افتتح بها "هوستن سميث" كتابه الموسوم بـــ: "أديان العالم". والدّين عند الله تعالى هو الإسلام كآخر رسالة سماوية، وهو الوحي وهو الروح، حيث جاء في القرآن الكريم : الآية 52 من سورة الشورى (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) نسمّيها التربية الروحية أو التربية الدينية، لأن " الدّين يهتم بالروح، فالدين هو الروح..."(عمرو، 2011، صفحة 28)،فالتربية الدينية (الروحية) هي تلك العملية التربوية الإنسانية التي تهدف إلى اشباع الفرد وتزويده بالقيم الإيمانية التعبدية والقيم الدينية الاجتماعية، بناءً على معطى الشريحة النورانية (الروح) من جهة، و عن طريق إتباع تعاليم القرآن الكريم و التبيّين النّبوي الشريف من جهة أخرى، والمتوافقين فطريا[أي (الروح) و(القرآن + التبيين النبوي)]. تحقيقا لتواصل الإنسان(المخلوق) مع الله (الخالق) من جهة (التواصل العمودي، أو الميتافيزيقي الغيبي)، وتواصل الأفراد فيما بينهم من جهة أخرى (التواصل الأفقي أو الفيزيقي الإنسي)، فيما

يمكنهم حتما إذا "اختاروا" إعمار الأرض وتحقيق هدف الخلافة التي خُلق من أجلها آدم ونسله الذي حملهم ضربة واحدة في صلبه، طبقا لما جاء في القرآن الكريم. في الآية 172 من سورة الأعراف: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ).

لكن وجود الروح، في التركيبة الخَلقية للإنسان بشكل خام، غير كافٍ لتحقيق التواصل الإنساني الإيجابي، بل يحتاج الإنسان إلى التربية والتنشئة الروحية (التربية على أسس أحكام الله تعالى حصرا)، هكذا حتى تستفيد النفس من وجود الروح معه في الإنسان، لأن النفس the self هي مركز للجاذبية السلبية، وهي"شر محض وهي محل الأخلاق المذمومة، وموضع نظر الخلق" (العثمان، 1963، صفحة 6)، وهي التي تأمر بالسوء، فهي التي تأتي بجميع الأفعال وتكتسبها، حيث يقول القرآن الكريم في الآية 38 من سورة المدثّر ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، فالنفس هي من يقع عليها الجزاء ثوابا أو عقابا. لهذا قد أفلح ونجح من زكّاها وأدبها على شرط الوحي والروح، استنادا لما جاء في القرآن الكريم الآية 52 من سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. فبالتنشئة الروحية تُضبط النفس وتُكبح جماحها، لأن الروح هو مبعث كل ثمرة حسنة عند الإنسان. ومبعث الرحمة، والشفقة والتعاون، والتضامن، والتفاعل الإيجابي بين الناس.

كما أن التربية الروحية تسعى لتعزيز، وتنمية عدة عوامل وأسس روحية، والتي من شأنها التأثير في عملية التواصل الإنساني، والتي نرصد منها مثلا ما يلي:

- الإيمان عامل رئيس في الحتمية الروحية، بحيث يمثل الجنبة الروحية للإنسان، ويأثر على سلوكه، بل النظرة العامة للواقع الاجتماعي والكون ككل.

- الشعائر الدينية سواء المرتبطة بالجوارح وبالعقل، فهي أيضا عوامل مهمة في الحتمية الروحية التي تساعد الإنسان على التواصل الديني بشقيه العمودي (مع الله) والأفقي (الإنسان مع أخيه الإنسان)

-المودة، وهي المحبة، والإحساس العاطفي المفترض بين الناس، بحيث يدفعهم إلى التعلّق بعضهم البعض، والتعاون والتواصل بينهم، والعيش بسلام.

-لأخلاق والقيم الدينية هي الأخرى عاملين أساسين في الحتمية الروحية، فهما كفيلان بتحديد سلوك الإنسان وتفاعله، وتأثر على تفكيره، وهما أساس السمو الروحي.

-الرحمة والإحسان: هما أيضا عوامل أخرى مهمة في الحتمية الروحية، فهما يساعدان الإنسان على تحسين علاقاته، وتعزيز التفاهم والسلام بين البشر.

فالحتمية الروحية هي فرضية، تقوم على فكرة أن هناك بعد روحي للإنسان، يؤثر على سلوكه ونظرته للحياة ككل، وأن هذا البعد، يتأثر بالعديد من العوامل الروحية التي ذكرنا.

5. بين الحتمية القيمة والحتمية الروحية:

بالطبع، يمكن القول إن هناك بعض التوافق بين الحتمية القيمية والحتمية الروحية، حيث تشير كلتهما إلى وجود قوى غير مرئية وغير قابلة للتحكم، تؤثر على حياتنا وتقوم بتوجيهها بطريقة محددة، ومع ذلك، تختلف الحتمية القيمية والحتمية الروحية في مفهومهما الأساس، وفي الطريقة التي تؤثر بها على حياتنا التفاعلية ،فالحتمية القيمية ترتبط بمفهوم القيم والمعايير التي يجب أن يتبعها الفرد، في حين أن الحتمية الروحية ترتبط بالمعنى والغاية الروحية والروحانية التي يمكن أن تؤثر على تجربتنا الحياتية وعلاقتنا بالله من جهة، وعلاقاتنا مع الآخرين من جهة ثانية.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد تباين كبير بين الحتميتين، فيما يتعلق بالدور الذي يمكن للإنسان القيام به في تحديد مصيره وتوجيه حياته. فالحتمية القيمية تشجع الفرد على

التفكير والاختيارات الشخصية والمسؤولية عن حياته، في حين أن الحتمية الروحية تعتبر الفرد جزءًا من نظام، أو قوة أكبر تتحكم في نشاطه، ولا يمكن له التحكم فيه بشكل كامل.

6. مناقشة:

رغم توفر الإنسان الخليفة -العاقل، على مكون " الروح" المنفوخة فيه من لدن الله الخالق، ورغم بلوغه تطور حضاري وتكنولوجي مُبهر، ومذهل، ورغم وصول ظاهرة حقوق الإنسان، موصلا راقٍ، إلا أن تاريخ الإنسانية، شهد ولازال يشهد القتل، والحرب والفساد، والانسداد في العلاقات في كل شبر من هذه الأرض. وإلى اليوم. حيث بلغت عدد المعارك " اثنا عشر 12ألف عبر التاريخ، كما بلغ عدد قتلى الحرب التي حدثت ما بين 1939-1945، 50 مليون."(ما المعركة التي سقط فيها أكبر عدد من القتلى في التاريخ؟، 2022). وعليه قد يكون هناك أيضاً عوامل داخلية وخارجية أخرى، تؤثر في التواصل الإنساني، مثل عوامل التربية الدينية والتنشئة الاجتماعية والاقتصادية (الفقر) والثقافية (الإيديولوجيا)، والنفسية(الأمراض)، والتكنولوجية (الصناعة الحربية).. الخ

خاتمة:

من خلال هذه المقاربة، يمكن القول إنّ الحتمية الروحية في التواصل تعتبر عاملًا مهمًا في بناء العلاقات الإنسانية الجيّدة،والتي تتميز بالتفاهم والتسامح والتعاون، وتعمل على تحقيقالسلام والاستقرار والتطور في المجتمع الإنساني،وبذلك، يمكن القول إنّ الحتمية الروحية تؤديدورًا كبيرًا في تعزيز التواصل الإنساني، ولا يتأتى ذلك إلا بالتنشئة الدينية والروحية، وعن طريق الأساليب التربوية الحديثة، التي توصل إليها العلم اليوم، لاسيما في شقه التكنولوجي.

والجدير بالإشارة أن الحتمية الروحية لا تقدم إجابة نهائية وجاهزة، لفهم التــواصل الإنساني، بل تمثل مساهمة في فهم وتحسين عملية الاتصال، ويمكن أن تساعدنا فيما يلي:

- فهمٍ أفضل للعلاقات الإنسانية.
- تحسين الاتصال بين الأفراد والمجتمعات ودول العالم.
- الحتمية الروحية تلعب دورًا حيويًا في بناء العلاقات الإنسانية الجيدة.
- تعزز التواصل الإنساني من خلال التفاهم والتسامح والتعاون.
- تسهم في تحقيق السلام والاستقرار في المجتمعات.
- مساهمة مهمة في فهم وتحسين عملية الاتصال الإنساني.

ثم إن الحتمية الروحية لا تتعارض مع الحتمية التكنولوجية أو الحتمية القيمية، بل تتكامل معهما، وتضيف لهما البعد الروحي، الذي يجعل الإنسان كائنا اتصالي بطريقة لا مفرّ منها، بل المصير اللازم للإنسان.

المراجع والمصادر:

المراجع العربية:

القرآن الكريم

الحاكم. (1997). المستدرك (المجلد 2). القاهرة، مصر: دار الحرمين.

الطبراني أبو القاسم، و تح: حمدي بن عبد المجيد. (1994). المعجم الكبير (الإصدار 02، المجلد 8). القاهرة، مصر: مكتبة ابن تيمية.

سوزان غرينفيلد. (2017). تغيّر العقل:كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا. (عبدالرحيم علي ايهاب، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب.

شريف عمرو. (2011). رحلة عقل. مصر الجديدة، مصر: مكتبة الشروق الدولية.

عبدالرحمان عزي. (2013). دراسات في نظرية الاتصال : نحو فكر إعلامي متميز،) (الإصدار 3). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبدالكريم العثمان. (1963). عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1382هـ/1963م، ص 56. القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.

مختار عمر أحمد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

ياسين قرناني . (01 01, 2014). قراءة تحليلية لنظرية الحتمية التكنولوجية و الحتمية القيمية بين مارشال ماكلوهان وعبدالرحمان عزي. 08(01)، صفحة 66.

ابراهيم عدنان . (31 01, 2023). *سلسلة العلم و الدين:القرآن و الحياة العاقلة في الكون*. تم الاسترداد من http://www.adnanibrahim.net/

حيان الخياط. (07 06, 2012). نحن من تبقى فقط من جنس الهومو. تم الاسترداد من العلوم الحقيقة: https://real-sciences.com

عدنان , ا .(07 02 ,2023) .العلم والدين: لحظة غاليليو – سلسة العلم والدين – الحلقة *1* . Retrieved from http://www.adnanibrahim.net

ما المعركة التي سقط فيها أكبر عدد من القتلى في التاريخ؟ (2 6, 2022). تم الاسترداد من aljazeera: https://www.aljazeera.net

نصير, ب) .نصير بوعلي، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عبدالرحمان عزي:مقاربة نقدية ة .Retrieved https://platform.almanhal.com/Files/2/77913

هيدلستون, س .(14 6 ,2023) .العثور في المغرب على أحفورية أقدم إنسان . Retrieved from nature middle east: https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/article/10.1038/nmiddleeast.2017.104

المراجع باللغة الأجنبية

Marshall , M. (2003). *Understanding Media: The Extensions of Man* (critical ed ed.). Corte Madera CA: Gingko, CA: Gingko: w.terrence Gordon.

https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/d%C3%A9terminisme/24804%20%20%20vu%20le%20%2003/10/2022